المدرسة الاستشراق الفرنسية وجهودها في دراسة وحفظ المخطوط العربي

الأستاذ عبدالله العياشي

جامعة أدرار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المخطوط من أهم ما خلفه الأولون وتظهر مكانته بقوة وبجدية كونه أحد روافد التراث العربي الإسلامي واحد اقوي روابط الصلة بين الأجيال ، فلقد قامت الحضارة العربية وازدهرت ودونت تقدمها وازدهارها ، والنظر إليه بعين التدقيق والتمحيص أمر له من الأهمية بمكان ،كونه داعيا للتعرف على أسباب تلك النهضة وعوامل التقدم عند العرب في ذلك الزمن الماضي، وقنديلا ينير لنا الطريق اليوم ، ولكن الشيء الذي يدعو إلى الانتباه هو تلك الحملة من طرف المستشرقين الذين يمموا وجوههم تجاه الموروث العربي المدون المخطوط وركزوا عليه جهودهم واهتمامهم ، نظرا لقيمته العلمية والفكرية والفنية والدينية وكون هذا المخطوط أحد أهم أجزاء التراث العربي الرصين.

والاستشراف أو المستشرق عالم أخر أو منظار مغاير إن صح القول ينظر به للتراث العربي وهو إن دل على أمر فإنما يدل على مكانة هذا الزخم في عين الأخر " وهو في جوهره حركة يمكن القول عنها إنها كانت في مطلعها حركة ذات صبغة علمية ، وأهداف دينية ."[1] ،وان الهزة العميقة التي أحدثتها الانتفاضة العظيمة للعرب كأمة كانت مشتتة متفرقة ، متناحرة جعلت كل الأمم . خاصة المجاورة لها . " تنظر بنوع من الذهول والدهشة لهاته النهضة التي جاءت من عمق الصحراء المترامية الأطراف ، وعلى أيدي أناس كانوا إلى حد قريب . قبل الإسلام . معدودين عبيدا ورعايا مطالبين بالسمع والطاعة. " [2] ومن هنا فان معرفة الاستشراف ومدارسته والخوض في معرفة مناهجه يعد ضرورة ملحة فمن خلاله ندرك تراثنا بعين الأخر ، ونستفيد من جهودهم اتجاه التراث وكذا الصراع الحضاري بين الشرق والغرب الذي ينبئ عن إيديولوجية الغرب نحو الشرق والعرب عامة ، ولذلك يظهر التباين جليا بين تلك الأعمال من

[1]– اثر الترجمة القانية في حوار الحضارات: حنفاوي بعلي ، مجلة التواصل، عدد 120 ، جوان 2004 ، ص118

[2]– مستشرقون وترجمة القران الكريم : محمد صالح البنداق ، منشورات دار الأفاق الجديدة ،بيروت 1983،ص87

خلال الدراسة أو التأليف أو من خلال ترجمة المخطوط العربي ، حيث كان للمستشرقين الدور البارز في إذكاء روح الترجمة وإقامة العلاقات بين الشرق والغرب من خلال الحرب الصليبية أولا والطرق التجارية عبر صقلية ، والفتح الإسلامي للأندلس ، ففي زمن الحروب الصليبية عرفت أكثر حركة ترجمة في التاريخ على امتداد قرنين من الزمان ، ثم من خلال نقل معظم التراث العربي ، وأمهات الكتب مما أتاح للثقافة العربية أن تدخل من باب واسع حضارة العرب وترك أثرا بارزا ، مما آسهم في رفع المكانة الثقافية والحضارية والعلمية للعرب " [1] ، "والعمل على إحياء التراث العربي الثقافي فقد كانت بداياته في أوربا ابيضا وعلى أيدي المستشرقين." [2] **ولان** " العلاقة بين فرنسا والشرق بدأت منذ عهد قديم، منذ أن بدا العرب بغزو مقاطعات منها."3 فالمدرسة الفرنسية هي رائدة المدارس الاستشراقية في أوروبا، فإننا في هذه الدراسة سنتعرف إلى ما قام به المستشرقون الفرنسيون من نقل للثقافة العربية إلى الغرب من خلال المحاور التالية :

أ – الاستشراف الفرنسي والمخطوط العربي:

لقد كان لهذا الصدام أثر قوي في وعي كل طرف بالآخر، خاصة وعي الغرب ممثلا في فرنسا – تجاه الوجود العربي الإسلامي " .بل إن نشأة ما عرف فيما بعد بالأدب الفرنسي، ربما كانت مدينا لهذا الصدام ذاته، فبعد أقل من خمسين عاما على موقعه بلاط الشهداء،حدثت موقعة " رونسيفو "سنة 778 م بين المسلمين والفرنسيين....الذين كان يقودهم رولاند ابن أخ الإمبراطور شارلمان، أصبحت النواة الأولى لاستقلال الأدب الفرنسي."[3] هكذا وجدت فرنسا نفسها في مواجهة الزحف الإسلامي العربي باعتبارها بوابة لباقي أوروبا، و كان لتصديها لهذا الزحف الداهم أثر قوي ليس في .فرنسا وحدها بل في كل أوروبا، حيث أصبح شارل مارتل بطلا و أصبحت فرنسا حامية للمسيحية كلها و رمزا للتضحية في سبيل الكنيسة .و بما أن الوجود العربي الإسلامي قد فرض نفسه على الجميع، فقد كان لزاما –أن يحدث تقارب من نوع خاص بين فرنسا و الغرب من جهة و المشرق الإسلامي من جهة ثانية، و سنجد أن استقرار المسلمين الفاتحين في المدن و القلاع الفرنسية الكثيرة– أغلبها في الجنوب –واحتكاكهم بأهلها جعل هذا التقارب أكثر إمكانية و أكثر أمانا، خاصة إذا علمنا أن النموذج الحضاري العربي حاز إعجاب و رضا كثير من الأقليات العرقية التي كانت تعيش تحت حكم الإفرنج ."[4] خلال ولاية شارل

---

[1]– ينظر في التاريخ العباسي والأندلسي :مختار العبادي ، دار النهضة العربية 1972،ص293–294.

[2]– تحقيق التراث: عبد الهادي الفضلي، كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز، مكتبة العلم جدة ، ط1982،1 م،ص10

[3]– الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي، أحمد درويش، دار غريب، دط، سنة. 2004 ص18

[4]– نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1 ، القاهرة :دار المعارف 1964 ، ص151

مارتل نفسه .أما الذي يهمنا أكثر في هذا المقام فهو سعي الطرف الغربي الفرنسي إلى استكشاف حقيقة هذا الأخر الذي لم يكن في الحسبان، و هو ما يضعنا أمام إرهاصات نشوء علم الإستشراق الفرنسي

وإنه لمن المسلم به القول أن المدرسة الاستشرافية الفرنسية من أقدم و أعرق المدارس الغربية في الميدان، و من أقواها حضورا منذ ظهور طلائع المستشرقين الأوائل المعروفين، و ليس أدل على ذلك من أن أقدم مستشرق معروف متفق عليه ليس إلا الفرنسي " جربرت دي أوريلياك ". و الذي استمر تلامذته ومن أتبعهم في الميدان ذاته –في بذل الوقت و الجهد و المال للوصول بالدراسات الشرقية في بلادهم – خاصة التاريخية و الدينية و الاجتماعية منها –إلى مصاف ضروب العلم الأخرى التي كانت تحظى بمكانة مرموقة ومحترمة، و عودا إلى ما سبق نقول إن اللقاء العسكري الأول بين الفرنسيين و الفاتحين المسلمين ولّد لدى الطرف الفرنسي رغبة ملحة في معرفة سر قوة هذه الحضارة الوليدة ، هذه الرغبة هي التي دفعت الفرنسيين في فترة ما بعد المواجهات الساخنة إلى البحث عن المنجزات الحضارية العربية و العكوف على دراستها و الاستفادة منها، و لقد تجلى هذا في فترات مبكرة منذ القرن الحادي عشر الميلادي ف "حين سقطت طليطلة سنة 1085 م في يد الملك الإسباني ألفونس السادس، سارع العلماء الأسبان و الفرنسيين.....إلى العكوف .على كنوز المخطوطات العربية في المدينة المستسلمة لدراستها و ترجمة جانب منها[1] " و يبدو أن هذه المخطوطات قد حولت طليطلة إلى كعبة للدارسين من أرجاء أوروبا و فرنسا خاصة، يلتقون جميعا و يحاولون ترجمة ما يستطيعون ترجمته من العربية إلى اللاتينية لغة الثقافة المشتركة لجنوب أوروبا آنذاك.ودفع هذا الحماس بعضهم إلى المدى البعيد، فهذا المطران ريمون –مطران قشتالة –كون فريقا من " المترجمين الفرنسيين و اليهود و العرب قدموا باكورة التراجم عن العربية لمؤلفات ابن سينا والكندي و الفارابي و ابن رشد.[2] " ، و لم ينقطع سعي الفرنسيين نحو المخطوطات العربية النفيسة و البحث عنها، بل استمر و تتابع بوتيرة متباطئة أحيانا متسارعة أحيانا أخرى حسب الظروف السائدة في كل مرحلة، فنرى أن الوتيرة ما لبثت أن أخذت تتسارع وتخطو خطوات مهمة أثناء فترة الحروب الصليبية التي أعطتهم منفذا جديدا نحو معاقل هذه النفائس من المخطوطات و الكتب في الشرق، فجلبوا منها

[1]– الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي، أحمد درويش،.ص19

[2]– المرجع نفسه .ص19

الكثير. "[1]بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى أن صارت، أي المخطوطات – هدفا لبعض غاراتهم.

وصار تزايد أعداد المخطوطات العربية القادمة من الأندلس و من باقي مناطق الشرق ، دافعا للقيام بإعداد إحصاءات بالمترجمات العربية إلى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر الميلادي ".و قد أحصى" ليكليرك "ثلاث مئة عمل مترجم حتى القرن الثالث عشر ، منها تسعون في الطب و تسعون في الفيزياء الطبيعية و سبعون في الرياضة و الفلك". [2] 1

كل هذا إنما يدل على ازدياد حركة البحث عن المخطوطات العربية النفيسة و العمل على تصنيفها و فهرستها، خاصة في فرنسا، فشكلت –أي حركة الجمع و الترجمة – إحدى الظواهر ا لثقافية المهمة خلال القرون التالية خاصة إبان القرنين السابع عشر و الثامن عشر الميلاديين . و على هذا النسق استمرت رحلة البحث عن نفائس المخطوطات العربية بكل الطرق المتاحة، فمن جهة بعثات الطلبة الذين كان من نصيبهم حظ وافر من مكنونات هذه الكتب و من علمها الزاخر، و من جهة بعثات الرحالة و الحجاج والسفراء و المبعوثين الذين لم يألوا جهدا في اقتناء ما أتيح من الكتب و المخطوطات خاصة عن طريق شرائها من مختلف المناطق مثل "العاصمة العثمانية إسطنبول التي كانت مكتبات ا العامة و الخاصة تعج بالمخطوطات العربية التي جلبت إليها من الولايات العربية المختلفة. "[3] 2

كما كانت تجمع من بعض المدن العربية الكبيرة على غرار دمشق و بغداد وفاس و غيرها من كبريات الحواضر الإسلامية. و لقد كثرت المخططات العربية في المكتبات العامة و الخاصة في فرنسا، خاصة التي كانت ميزة للتباهي زيادة على أهميتها العلمية و التاريخية، و وصل عدد هذه المخطوطات حسب بعض الدراسات 1683 " مخطوطة سنة 1838 م[4] ."

ومن هنا تزايد الإحساس بأهميتها مما دفع لويس السادس عشر فيما بعد إلى "مشروع طموح يهدف إلى ترجمة كل هذه المخطوطات العربية إلى الفرنسية " [5] لكنه مات قبل تحقيق مراده، و ما فتئت الأمور تتحسن بالنسبة للفرنسيين و تسوء بالنسبة للدولة أو الخلافة الإسلامية. فبعد الا تصال المباشر بين فرنسا و العالم العربي و الذي حدث في القرن التاسع عشر، انطلاقا من

---

[1]– المرجع نفسه، ص20

[2]– الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي ،احمد درويش ، ص21

[3]– المرجع نفسه . ص21

[4]– الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب بن إبراهيم .ص25

[5]– ا لمرجع نفسه ، ص26

حملة نابليون على مصر، واحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 م، و لتونس 1881 م، ثم تواجدها بالمغرب و الشام بعد هذا الاتصال زادت روافد المخطوطات العربية التي بدأت تتدفق من المستعمرات الجديدة و البلدان المنتدبة إلى المكتبات الفرنسية، و على سبيل المثال الدال على قوة هذه الروافد الجديدة، نجد أنه في" الربع الأخير من القرن التاسع عشر بلغ عدد المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية وحدها ثلاثة آلاف و خمس مئة مخطوط (Bibliothèque Nationale) بباريس" [1]. وقد تضاعف هذا العدد الآن فتجاوز "سبعة آلاف صنفت تصنيفا جيدا و ." حفظت بأحدث الوسائل العلمية " [2]

إن هذه الأعداد الهائلة من المخطوطات العربية و المنجزات الحضارية العربية المختلفة التي عرفتها فرنسا منذ أزيد من ألف عام و التي لم تتوقف عن النمو و التراكم، قد أوجدت حولها طبقة من الدراسيين و الباحثين المهتمين باللغة العربية و آدابها و الذين شكلوا في معظمهم رجالات الإستشراق بوجه عام .و قد واكب عمليات الجمع هذه دراسات علمية " للمستشرقين الفرنسيين عن علوم المخطوطات العربية و من أشهرها كتاب بلاشير و سوفاجيه قواعد تحقيق المخطوطات وترجمتها إلى العربية Règles Pour Editions Et Traductions Des " " Textes Arabes " [3] . "

إن كل ما سبق يعطينا لمحة مختصرة عن مدى قوة وحيوية العلاقة التي قامت بين فرنسا و العالم العربي و لا زالت إلى يومنا هذا رغم اختلاف أجيال المستشرقين و كذا جماهيرهم و مريديهم و اختلاف الظروف العامة المحيطة هذه العلاقة،و لعلنا نسوق هنا معلومة قد توضح ما نرمي إليه مما سبق، حيث إن المتصفح للكتاب القيم جدا للدكتور عبد الرحمن بدوي " المستشرقون " سيلاحظ مع بعض الجهد أنه احتوى على العديد من أسماء ا لمستشرقين الفرنسيين، و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحضور القوي لواحدة من أكبر المدارس الإستشراقية قديما و حديثا.

.ب –المكتبات:

لقد تحدثنا في الصفحات السابقة عن قوة توارد المخطوطات العربية على فرنسا، وذكرنا تنوع هذه المخطوطات و كثرتها مما حتم وجود مكتبات على اختلاف أشكالها عامة كانت أو خاصة لاحتواء هذا الكم الهائل من هذه المخطوطات و كذا احتواء كم هائل من الدراسات و الفهارس

---

[1]– المرجع نفسه .ص22

[2]– لمرجع نفسه ، ص22

[3]– الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي ،احمد درويش ص23

التي صيغت حولها من لدن الباحثين و العلماء و التخصصين .و قد حفظت هذه المكتبات مئات الألوف من الكنوز من الكتب القيمة .ومن أهم هذه المكتبات نجد:

1- Bibliothécaire National de-Paris مكتبة باريس الوطنية 1654)م

من أهم المكتبات الفرنسية على الإطلاق بالنظر إلى قيمة ما تحتويه من نفائس، فضلا عن العدد الكبير لكل المؤلفات،" فهي تحتوي على ستة ملايين من الكتب والمخطوطات منها نحو سبعة آلاف مخطوط عربي بينها نفائس علمية و أدبية و تاريخية ونوادر قلما توجد في غيرها " .[1] وقد تنوعت مصادر الكتب لهذه المكتبة منذ بداياتها فمن أيدي المستشرقين الباحثين، إلى المستشرقين الذين كانت كل مهمتهم البحث عن المخطوطات-التي كانوا عارفين بقيمتها -،مثل البعثة التي " أوفدها الوزير كولبر إلى الشرق الأدنى، فابتاعوا لها – أي للمكتبة الوطنية 630 – مخطوطا "[2]، زيادة إلى مخطوطات مكتبات الأديار و الكنائس و ما أرسله نابليون بونابرت من حملته على مصر 320 مخطوطا .و هكذا تجمعت في هذه المكتبة أعداد كثيرة من المخطوطات العربية القيمة من أقدم العصور، ففيها قطع من القرآن على الرق من القرون الثاني و الثالث والرابع الهجري، و كذا بعض الكتب الشهيرة لعلماء مسلمين معروفين،

و قد صاحبت هذه المخطوطات كما ذكرنا محاولات عديدة لفهرستها و تبويبها و ضبطها لتسهيل الإطلاع عليها من قبل باحثي الأجيال اللاحقة .من بينها مصنف- **هربلو** " : – المكتبة الشرقية أو المعجم العام [3] . " في بضعة مجلدات) باريس 1657 م والطبعة الثانية 1738 م و مصنف للبارون دي سلان بعنوان " : فهرس المخطوطات العربية و السريانية في مكتبة باريس الوطنية " [4] في أربعة أجزاء يصف فيه4665 مخطوطا عربيا يتناول عنوان الكتاب واسم مؤلفه بالعربية، ثم مزايا المخطوط و نوع الورق والحجم و تاريخ النسخ و عدد الصفحات و السطور في كل صفحة بالفرنسية، والفهرس متقن يعتمد عليه لقلة الغلط و السهو فيه "[5] . و هذا دليل جميل على الدقة و التفاني اللذين كان يتميز بهما قسم كبير من المستشرقين في عملهم عامة .و ليس هذا إلا غيضا من فيض من جملة الفهارس التي تجشم جمع المستشرقين تدبيجها و تحبيرها، فالمتصفح للبحوث و الكتب الإستشراقية – القديمة خاصة – قد قدم عملا واحدا على الأقل ، سواءا كان مستقلا في ذاته ، أو تتمة لعمل غيره، في مجال فهرست المخطوطات

---

[1]- الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي .أحمد درويش .ص22

[2]- المرجع نفسه، ص23

[3]- المرجع السابق، ص143

[4]- المرجع نفسه. ص143

[5]- المرجع نفسه.ص143

وتبويبها و وصفها و كتابة مقدمات حول تاريخها و ما إلى ذلك من معلومات قد يراها الباحث قيمة مفيدة بالنسبة لعمله، و تضم مكتبة باريس الوطنية ، عدا المخطوطات النفيسة و الكتب التراثية النادرة " نوادر النقود و الأوسمة و الأختام و الخرائط."[1] وعددا كبيرا مما يشبه ذلك من الكنوز التاريخية.

2 –مكتبات المعاهد و الجامعات:

و فيها يجد الباحث نصيبا قيما من المخطوطات و الكتب الثمينة، و لا عجب في ذلك إذا علمنا أن قيمة هذه الكتب النادرة تدفع أي مؤسسة تربوية ثقافية إلى محاولة اقتناء ما يمكن اقتنائه منها، إضافة إلى دفع منتسبيها إلى البحث عنها و فيها و غرس حب هذا المضمار فيهم و تشجيعهم على الغوص فيه من خلال كل الوسائل المتاحة،ومنها – أي مكتبات المعاهد –نجد:

1–**مكتبة ستراسبورج** :صنف فهرس مخطوطاتها العربية جوليوس أوتنج 1877م

2– **مكتبة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية** :صنف فهرس مخطوطاتها الشرقية لامبرخت 1897م

3–مكتبة أفينيون : صنف مخطوطاتها العربية شارل بيلا 1944 م

4–**مكتبة الجمعية الأسيوية في باريس** :صنف فهرس مخطوطاتها العربية جورج فايدا المجلة الأسيوية :العدد 238 سنة 1950 م

هذا و يشير نجيب العقيقي في كتابه المهم " المستشرقون " أن فرنسا – في زمن طبعه لكتابه و بعده –و الحكومة الفرنسية عنيت و لا زالت بوضع " فهرس شامل لجميع المخطوطات العربية في سائر مكتبات فرنسا، هذا عدا فهارس المخطوطات .الشرقية في مكتبات الجامعات و المعاهد و المؤسسات الخاصة و العامة. "[2]

المكتبات الخاصة : و نحن هنا نقصد المكتبات التي كانت بمعية المستشرقين و ملكا لهم، و كذا مكتبات رجال الدولة و غيرهم ممن كانت لهم القدرة على اقتناءها . وقد قام كثير من المستشرقين و الكبراء في الدولة بوهب قسم كبير من هذه المكتبات الخاصة للمكتبة الوطنية بباريس ، إلى جانب آخرين قاموا بوقفها كليا على هذه الهيئات و المؤسسات[3].

3 مكتبات المستعمرات أغلبها تحت السيطرة الفرنسية و التي نشط فيها المستشرقون الفرنسيون أيما نشاط .و هنا سنخص بالذكر مكتبات شمالي إفريقيا التي كانت أغلبها تحت السيطرة

---

[1]– المرجع انفسه.ص143

[2]– المرجع نفسه .ص144

[3]– المرجع نفسه، ص144

الفرنسية و التي نشط فيها المستشرقون الفرنسيون أيما نشاط. وفي التالي أسماء المستشرقين و عناوين فهارسهم التي أتيح لنا العثور عليها في بطون مصادر و مراجع هذا البحث:

دينه باسه :فهرس المخطوطات العربية في مكتبتي فاس) الجزائر 1883 م(ومخطوطات جلفا) *نشرة المراسلات الإفريقية 1884 م (، و فهرس مكاتب الزوايا) الجزائر 1886 م.(

فانيان فهرس المخطوطات العربية و التركية و الفارسية في مكتبة مدينة الجزائر الوطنية) في سلسلة الفهرس العام لمخطوطات المكتبات العامة في فرنس8. 1893م

روي :فهرس المخطوطات التاريخية المحفوظة في مكتبتي جامع الزيتونة .العبدلية والأحمدية) تونس 1900 م.

جورج سالمون :فهرس مخطوطات مكبة خاصة في طنجة) المحفوظات المغربية 1905م.

مايار: فهرس المصنفات المغربية في مدينة طنجة) مجلة العالم الإسلامي 1917 .م 1918م.

كور: فهرس المخطوطات في كبرى المكتبات الجزائرية) الجزائر 1907 م

بلوشه فهرس البعثة العلمية في المغرب 1909 م

–**ديستنج**: المخطوطات العربية في غربي إفريقيا المجلة الإفريقية 1911 م

ألفريدبول :فهرس الكتب العربية في مكتبة جامع القرويين بفاس) فاس 1918 م

ليفي بروفنسال :المخطوطات العربية في الرباط) باريس 1921 م .الرباط 1922م

بلاشيرو رينو :فهرس المخطوطات العربية المستجدة في المكتبة العامة لمحمية المغرب 1929م م 1930 – و فهرس المخطوطات في المعهد العلمي في الرباط هيسبريس 1931 م.

رينو المخطوطات العربية المتعلقة بالطب في مكتبة الرباط نشرة الجمعية الفرنسية لتاريخ الطب م 1923 و الفهرس " المزعوم "لمكتبة جامع القرويين بفاس 1934م .

إن كل ما سبق يدلل بطريقة أو بأخرى على مدى اهتمام الإستشراق الفرنسي بعلاقته بالحضارة الإسلامية في جوانبها المختلفة، و بالإضافة لكراسي اللغة العربية التي مهدت للدراسات العربية ، و كذا المكتبات العامة منها و الخاصة و التي أتاحت الإطلاع على الموروث العربي الإسلامي، نجد عنصرا آخر مهما جدا في إطار التنمية العلاقات المعرفية مع العالم العربي و أدبه و ثقافاته، و هذا الرافد الآخر هو المجلات العلمية والخاصة بالإستشراق و بحوثه، فقد أنشأت جمعيات المستشرقين الفرنسيين عددا من المجلات"تعنى جميعها بالعرب في تحقيق تاريخهم و

جغرافيتهم و أنسابهم، و بحث أديانهم وشرائعهم و مذاهبهم و أخلاقهم ، و درس لغاتم و علومهم و آداهم و فنونهم"

فاطلعت الغرب على كل ما يتعلق بالشرق في خصائص تطورهم، فألفت مجموعة كونت مكتبة نفيسة فيها زبدة أعمال المستشرقين ،

و من أهم هذه المجلات العلمية نجد__:

حوليات معهد الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر 1934)

l'institut d'études orientales de l'université d'alger: هذه أغلب و أهم المجلات و النشرات التي مثلت الإستشراق الفرنسي في علاقته بالعالم العربي الإسلامي على أنها لا زالت هناك الكثير منها لم نذكرها مثل نشرة الدراسات العربية 1941) م . (وكذا مجلة العربية " أرابيكا) " 1954م(، ثم مجلة

الأدب المقارن)د.ت (، و غيرها كثير لا يتسع المقام لذكرها جميعا كل هذه الأدوات و الآليات المادية و المعنوية مثلت و لازالت تمثل قنوات عبور معرفة العالمين العربي و الإسلامي إلى الضفة الأخرى، و بعضها لا زال إلى يومنا هذا يواكب المتغيرات الاجتماعية و الثقافية و لا زال ينشط و يصدر و يؤلف، حتى في ظل الجدل الحامي حول جدوى الإستشراق من عدمه،و المهم في الأمر أن هذه القنوات كانت

و لا زالت تحرص من خلال أشكالها المختلفة – الأكاديمية و غيرها –على حيوية الارتباط و العلاقة التي تريدها فرنسا لنفسها مع العرب و المسلمين عن طريق ارثها المخطوط، سواء كانت هذه العلاقة تتسم بالتوازن في الأخذ و العطاء، أو بنوع من الهيمنة و محاولة الغلبة على الطرف الآخر و تبرير السيطرة عليه ثقافيا و معرفيا .و خلاصة القول هنا أن كل هذه القنوات لم تكن إلا دليلا على قوة العلائق التي ربطت – و لا زالت – فرنسا بالعالم العربي و حياته و أهمية هذا التراث العربي – قديما و حاضرا –بالنسبة للغرب عامة و لها خاصة.

3 بعض اعلام المستشرقين الفرنسيين الذين عملوا في مجال المخطوطات.

تعددت أسماء المستشرقين الفرنسيين الذين عملوا في مجال المخطوطات ، بل لمعت أسمائهم في هذا المجال ، وصاروا م ا رجعاً لكثير من الباحثين في الشرق والغرب ، وقد اقتصرنا على بعضهم لكثرتهم ، ومن أهم أعلام الاستشراق الفرنسي الذين عملوا في مجال المخطوطات ما يلي:

1سلفستردي ساسي Antoine Isaac Silvestre de Sacy (1758م1838:

:(شيخ المستشرقين، رائد الإستشراق الفرنسي ورافع رايته" أبو الإستشراق الحديث ومنشئ علم الإستشراق في أوروبا "، كلها ألقاب تحيل إلى شخصية البارون دي ساسي الذي يحتل مكانة قلما بلغها مستشرق.ولد دي ساسي في12/211758 م لأب كان محرر عقود كاتب عدل و يسوق بعض الدارسين لتاريخ الإستشراق أن سبب تعلق واتجاه دي ساسي إلى الدراسات العربية والشرقية عامة هو شخص اسمه جورج فرانسوا بيرتيريو،و هو الذي يظن أنه أخذ بيد دي ساسي لتعلم العبرية والعربية ولم يكن دي ساسي متجها للغات الشرقية فقط.[1]

لكنه إلى جانب ذلك أدرك حاجته لتعلم اللغات الأوروبية مثل الألمانية والايطالية والانجليزية والأسبانية التي أخذ في دراستها والتمكن منها لزيادة ثقافته من جهة، ومن جهة أخرى لزيادة فرصته في الحصول على عمل محترم يوفر له حياة كريمة لائقة به وبطموحاته .سنة 1778م تم تعيينه من طرف الملك واحدا من ثمانية أعضاء ضمن جمعية لنشر كنوزالمخطوطات الشرقية لمكتبة باريس الوطنية،ولم يتوقف الأمر هنا حيث عين بعد ذلك بثلاث سنوات سنة عين 1781 مستشارا في ديوان النقود الملكي، وفي سنة 1785 م عين عضوا حرا في مجمع النقوش والآداب ثم حافظا للنقود ومفوضا في أمرها سنة 1791 مغير أن الثورة الفرنسية المندلعة سنة 1796 تسببت في توقف نشاطه"[2]

ومباشرة بعد تأسيس وإنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1795 م التي أنشئت بقرار من مجلس الثورة –أو الجمعية الثورية –أنشئ ضمن ما أنشئ كرسي للغة العربية، وعين دي ساسي الذي أصبح سلفستر ساسي فقط، أستاذا للعربية فيها .

.توفي " سلفستردي ساسي "في 14 فبراير سنة 1838 م بعد حياة حافلة بالعطاء المتواصل والنشاط الدءوب.والعمل [3] إن الحديث عن دي ساسي وحياته يطول ويطول، وكذلك الحديث عن آثاره ومؤلفاته يطول بطول مشواره الحافل الذي لم يقتصر على المجال العلمي ، وإنما تعداه إلى السياسي ومراكز اتخاذا القرار ولقد تعددت تآليف دي ساسي و تنوعت موضوعاتهاو تنوع اهتماماته، فلم يقتصر على مجال مفرد بعينه، وفي الأسطر التالية سنوجز بعض أعماله المهمة، وهي أعمال تراوحت بين اللغوي والتاريخي والجغرافي مما يبين بصفة جلية مدى موسوعية هذا الرجل وتنوع مجالات اهتمامه، فنجدله مثلا كتاب" الأنيس المفيد للطالب المستفيد "وهو عبارة عن مختارات من أدب العرب وأشعارهم 1806 م

---

[1]– ينظر المستشرقون .نجيب العقيقي ص 162

[2]– ينظر المستشرقون .نجيب العقيقي ص 162

[3]– نظر: الاستشراق: ادوارد سعيد المفاهيم الغربية للشرق، ترمحمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة ، ط1 2006،ص216

1826م(، ترجمة " البردة للإمام البوصيري 1806) "م (تلخيص كتاب الخطط للمقريزي) 1797م (وكتاب" التحفة السنية في علم العربية "في جزأين، ترجمة" تاريخ الساسانيين". كما نجده نشر بمعاونة ديلابورت " مباحث جغرافية عربية من إفريقيا 1821 "م، وله" دراسات عن أصل ألف ليلة وليلة "المجلة الآسيوية 1827 م 1828 –م كما كان لدي ساسي وصف لبعض المخطوطات المهمة مثل":البرق اليماني في الفتح العثماني للشيخ المكي، و" الكواكب السائرة " للشيخ أبي السرور.كما نجد له بحوثا ودراسات منتشرة في صفحات المجلة الأسيوية التي كان من أهم مؤسسيها والعاملين بها، وله فيها" : حول النقود الإسلامية 1823 "م، وكذا" دراسة الشعر العربي 1826

: Jacques Berques (جاك بيرك –1910 م 1995م

فرنسي مولود بالجزائر بمنطقة فرندة سنة 1910 م، كانت نشأته في فرنسا حيث زاول دراسته هناك حتى تخرجه. شغل جاك بيرك عدة مناصب في حياته سواء العلمية أو الإدارية، إذ نجده يعين مديرا لقسم للبحوث الفنية والتجريبية في معهد في مصر 1953) م 1954 م، ثم بعد ذلك مشرفا على مركز للدراسات العربية في لبنان 1955) م (قبل أن تكون عودته لفرنساحيث صار أستاذ كرسي التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا، ثم مديرا توفي بيرك . (Collège des études Supérieures)لمعهد الدراسات العليا في السابع والعشرين من جوان صيف 1995 م في منطقة" سان جوليان أون بورنSaint Julien en borne ". من أهم ما خلف جاك بيرك نجد :دراسات في التاريخ الريفي المغربي 1938) وثائق عن تاريخ المغرب الإجتماعي 1948) م .(النظم الاجتماعية في الأطلس الأعلى(204

1955م – (توقعات للإستشراق الحديث 1957) م(،كما نجد له تآليف أخرى مثل(: الإسلام من الأمس إلى الغد 1965) م(، مشاكل الثقافة العربية المعاصرة 1965) م(والمجتمعات والأدب العربي المعاصر 1964) م.(الإسلام والإشتراكية 1967) م.(وأخيراوليس آخرا بعض البحوث مثل :نحو ثقافة عربية معاصرة 1972) م (واللغة العربية من الإنسان إلى التاريخ) 1967م .(وهي –أي كل هذه الآثار –متنوعة بين كتب مفردة ومقالات موزعة في صفحات المجلات المتخصصة، وبحوث ومحاضرات ألقيت في ندوات ودروس تم طبعها بعد ذلك[1].

–هـ خلاصة:

من خلال هاته الوقفة اليسيرة مع اهم مدرسة استشراقية نخلص الى الاتي :

[1]– ينظر المستشرقون .نجيب العقيقي ص 162

1 إن الصفة البارزة للاستشراق الفرنسي أنه لم ازدهر نتيجة الاستعمار ليس –كما هي الحال في بعض البلدان الأوروبية الأخرى أو يرتبط بأهداف دينية تبشيرية كسواه ؛ فهو يمتازبالقوة ونومن العنف.

2 – استفاد المستشرقون الألمان عند تحقيقهم للمخطوطات العربية من المناهج نشر النصوص من المسلمين الأوائل في ، ووضعوا القواعد في التحقيق والتعليم وفي مقدمتهم مناهج المكتبات وطرق الترجمة.

3 – عُني المستشرقون الفرنسيون عناية جليّة بحفظ المخطوطات وصيانتها وترميمها وفهرستهاوترجمتها وتحقيقها ثم نشرها ، وفاقوا العرب في ذلك.

4 – يسجل للمستشرقين الفرنسيين السعي الحثيث والجدّة في خدمة المخطوطات العربية الإسلامية ، مما يدفعنا إلى ضرورة ا لعناية بتلك المخطوطات وحمايتها وصيانتها وتحقيقها ونشرها باعتبارها ت ا رثنا الأصيل.

5 المكتبات الفرنسية من اغنى المراكز التي يتواجد بها المخطوط العربي .

المصادر والمراجع

1اثر الترجمة القانية في حوار الحضارات: حنفاوي بعلي ، مجلة التواصل، عدد 120 ، جوان 2004

2المستشرقون وترجمة القران الكريم : محمد صالح البنداق ، منشورات دار الافاق الجديدة ،بيروت 1983م

3 في التاريخ العباسي والاندلسي :مختار العبادي ، دار النهضة العربية 1972،

4 تحقيق التراث: عبد الهادي الفضلي، كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز، مكتبة العلم جدة ، ط1982،1 م

5الإستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر .الطيب بن براهيم، دار المنابع، دط .سنة 2004

6الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي، أحمد درويش، دار غريب، دط، سنة. 2004

7نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1 ، القاهرة :دار المعارف 1964

8 الاستشراق: ادوارد سعيد المفاهيم الغربية للشرق، ترمحمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة ، ط1 2006